بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (170)**

المعنى الإجمالي: ويُخبِر تعالى عن المشركين أنَّهم إذا أُمِروا بالالتزام بما جاء مِن عندِ الله، وأن يكونَ ما يحلُّونه ويحرِّمونه على وَفْقِ الشَّريعة المنزَّلة، كان جوابهم أنَّهم لن يتَّبِعوا إلا ما وجَدوا عليه أسلافَهم، بما فيه من تحليلٍ وتحريم مخالفٍ لِما أراد الله، فأنكَر اللهُ عليهم هذه التبعيَّةَ والتَّقليد الأعمى، فكيف يتَّبِعون آباءهم وهم على حالٍ لا تؤهِّلُهم لأنْ يُتَّبعوا؛ فهم لا عقلَ لهم يُرشِدهم إلى الحق، ولا يحمِلون العِلم النَّافع الذي يقوِّم عمَلَهم، ويُنِير طريقهم.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) أي: إذا قيل للمشركين: التزِموا باتِّباع الوحيِ الإلهيِّ فحسبُ؛ فأحِلُّوا حلالَه، وحرِّموا حرامَه، دون التَّقوُّلِ على الله تعالى بلا عِلمٍ واتِّباعِ الأوهام. موسوعة التفسير

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ) أي الناس الذين خوطبوا بقوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا)

قال الطبري: يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان ... وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله (قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)

(قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) أي: أعرَضوا عن الوحي، وهو العلم النَّافع حقًّا، وأخَذوا بما وجَدوا عليه أسلافهم، فقلَّدوهم فيه، ومن ذلك تحريمُ ما أحلَّ اللهُ تعالى، وتحليلُ ما حرَّمه. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) على رسوله، واتركوا ما أنتم عليه من الضلالة والجهل (قَالُوا): في جواب ذلك (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، أي: من عبادة الأصنام والأنداد.

كما في الآية الأخرى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

(أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) أي: أيتَّبعون آباءَهم حتى لو كانوا على هذه الحالِ التي لا يستحقُّون أنْ يُتَّبعوا فيها؛ إذ ليس لديهم عقلٌ سليم يُرشِدهم إلى اتِّباع الحقِّ، ويزجُرُهم عن اتِّباع الباطل، ولا يحمِلون عِلمًا نافعًا يعمَلون على وَفْقِه عملًا صالحًا؛ فكيف يتَّبعون هؤلاء ومِثْلُهم لا يصلُحُ أنْ يُقتدى بهم. موسوعة التفسير

قال خالد السبت: إذا قال لهم الرسول ﷺ: اتبعوا ما أنزل الله من الهدى الكامل والوحي، قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، فآثروا تقليد الآباء، واقتفاء آثار هؤلاء الجُهال بالله -تبارك وتعالى- وبشرعه على ما أنزل الله تعالى فالله يُنكر عليهم ويقول :(أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ) [سورة البقرة:170] فجاء بهمزة الاستفهام الدالة على الإنكار (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ) [سورة البقرة:170] فهل يسوغ لهم اتباعهم، واقتفاء آثارهم، ولا يهتدون إلى شيء صحيح في باب الاعتقاد، أو العمل والتشريع، فهم في عمى، وجهالة تامة.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)

✉قال سعيد مصطفى ذياب: كم من المحرمات ارتكبت، وكم من الحرمات انتهكت، وكم من الواجبات تركت بسبب إلف العادة.
✉يقال لأحدهم لم تفعل هذا وهو محرم؟ فيقول: اعتدنا فعل هذا (تعودنا على هذا)، ويقال لأحدهم: لم لا تفعل هذا وقد أوجبه الله؟ فيقول: ما رأيت أحدًا يفعله من قبل، (طول عمرنا ونحن هكذا)، ولم يشعر المسكينُ أنه اعتذارُ المشركين.
⇦فاحذر أن تكون من الذين إذَا قِيلَ لَهُمْ: {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}، قَالُوا: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}، فإن آباءك لن يغنوا عنك من الله شيئًا.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ 170
✉العجب كل العجب ممن يترك نصوص الكتاب والسنة وقد لاحت دلائلها، وبانت معالمها، ليأخذ بقول فلان، وفلان.
قَالَ الإمام الشافعي رحمه الله: (إذَا صَحَّ الحَدِيْثُ فَهُوَ مَذْهَبِي وَإِذَا صَحَّ الحَدِيْثُ فَاضْرِبُوا بِقَولِي الحَائِطَ). سير أعلام النبلاء
⇦وَقَالَ: (مثل الَّذِي يطْلب الْعلم بِلَا حجَّة كَمثل حَاطِب ليل يحمل حزمة حطب وَفِيه أفعى تلدغه وَهُوَ لَا يدْرِي).
⇦وَقَالَ أيضًا رحمه الله: (لَا تقلدني وَلَا تقلد مَالِكًا وَلَا الشَّافِعِي وَلَا الْأَوْزَاعِيّ وَلَا الثَّوْرِيّ وَخذ من حَيْثُ أخذُوا).
⇦وَقَالَ: (من قلّد فقه الرجل أَن يُقَلّد دينه الرِّجَال).
⇦وَقَالَ أيضًا رحمه الله: (عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يذهبون إلى سفيان والله سبحانه يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63] قال أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك).
⇦فاحذر يرحمك الله أن يقال لك قال الله تعالى، قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتقول: ولكن قال فلان، فتشابه قولَ المشركين الذين قَالُوا: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}. سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ 170
❁اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (171)

(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً)أي: شبَّه الله تعالى الكفَّارَ عند دعوة الدَّاعي لهم إلى الإيمان -كالنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ-شبَّههم بالبهائمِ التي يصوّت لها راعيها، فتسمَعُ الصَّوت ولا تفهَمُ المعنى، فكذلك حالُ الكفَّار الَّذين لا ينتفعون مِن تلك الدَّعوة بشيء، لكنَّهم يسمعون ما تُقام عليهم به الحجَّة. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي: فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل أي: كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أي: دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنما تسمع صوته فقط.

قال السعدي: أخبر تعالى أن مثلهم – عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان – كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها.

خالد السبت: ثم قال في بيان مثل هؤلاء في حال دعوتهم، حينما توجه إليهم الدعوة (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ) [سورة البقرة:171] مثل الذين كفروا أي: شبه هؤلاء الكفار حينما توجه إليهم الدعوة، فيكون هذا المثل على قول مشهور جدًا في التفسير، هو أن هذا المثل مضروب لداعي المشركين، مع هؤلاء الذين لا يعقلون، ولا يسمعون سماع انتفاع، ولا ينطقون بحق، ولا يُبصرونه، فهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، كمثل الراعي الذي ينعق بغنمه، فهي لا تسمع إلا جرس صوته، ولكنها لا تعقل منه شيئًا.

إذن هذا المثل قد ضُرب بالمدعو الذي لا يستجيب لدعوة الداعي.

(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) أي: صم عن سماع الحق، بكم لا يتفوهون به، عمي عن رؤية طريقه ومسلكه. ابن كثير

(فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ) أي: لا يعلمون شيئاً ولا يفهمونه.

خالد السبت: فهؤلاء الكفار حينما يسمعون صوت الداعي إلى الله -تبارك وتعالى- يدعوهم إلى الإيمان وطاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ هم بمنزلة تلك الأنعام مع راعيها، لا ينتفعون، ولا يعقلون، وعلة ذلك هي ما ذكره الله -تبارك وتعالى -صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ [سورة البقرة:171] فهم صُم لا يسمعون سماع انتفاع، وبُكم لا يتكلمون ولا ينطقون بالحق، ولا يتكلمون بشيء ينفعهم، وعُمي لا يُبصرون الحق، كما قال الله -تبارك وتعالى- في أول هذه السورة الكريمة :خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [سورة

البقرة:7] فصار هؤلاء في حال من العمى والضلالة، بحيث لا يكون المحل قابلاً لتوجيه الخطاب، أو الاستجابة والانتفاع بما يُخاطبون به، فهم لا يعقلون عن الله، ولا يعقلون الخطاب، ولا ينتفعون بشيء من ذلك.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) وقفة مع آية: يأتي نداء الله للناس ولا يستجيبوا لأوامره ولا ينقادون، وهم أنفسهم يجلسوا في الطائرة، وهي تحمل سبعمئة عقل، أكثر او أقل والجميع يستسلم لقائد واحد، لا يفكر ابدا أحد من الركاب في التدخل وفي قلوبهم يقين انه سيوصلهم الى البر بأمان، ونجلس في هذا الكون العظيم، بأرضه وسمائه وما بينهما من أرواح، وليس في قلوبنا يقين، ان هذا الكون لن يصل الى بر الامان الا بكلام الواحد الاحد، وجميع العقول كبيرها وصغيرها، يتدخل ويعمل عقله فاذا هو خصيم مبين، ويجادل في احكام الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، والجميع يريدون الوصول إلى الجنة .

أن كل من خالف الحق، وما أنزل الله فليس بعاقل، وليس عنده هدى، وقد قال تعالى (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (50) القصص

⇦أن من يسمع الحق ولا يستجيب له فيه شبه من هؤلاء الذين ذكرهم الله.

وقد قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) 24 الأنفال

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ) أي: يأمُرُ اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين بالأكل ممَّا أحلَّ اللهُ تعالى لهم؛ من أنواع المطعوماتِ الطَّاهرة النَّافعة، التي رزَقهم إيَّاها، كما أمَرهم أيضًا بالقيام بشُكره؛ بقلوبهم، وألسنتِهم، وجوارحهم. موسوعة التفسير

قال السعدي رحمه الله: "هذا أمر للمؤمنين خاصة، بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوى بها على ما يوصل إليه، فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا}.

في الآية الاولى كان النداء يا ايها الناس، ثم اصبح النداء يا ايها الذين امنوا، لأن الله يعلم انه لن يستجيب لندائه من الناس الا المؤمنين، المصدقين له الذين هم اشد حبا لله، محبتهم ستحملهم على مخالفة الهوى، والنفس والدنيا والشيطان، كلما زاد الحب زاد الخضوع والذل للمحبوب، لن يقولوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا، بل قولهم ما لنا اله الا الله، لا رب سواه ولا معبود الا إياه، هو اوجدنا من العدم واعدنا وامدنا، وهو اعلم بما يصلحنا ويسعدنا فالأمر امره والنهي نهيه، ونحن عبيده بنوا عبيده ماض فينا حكمه، عدل فينا قضاءه.

قال اللهيميد الأدلة على إباحة الطيبات وتحريم الخبائث كثيرة:

قال تعالى (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...)157الأعراف.

والله أمر المرسلين بذلك قال ﷺ (أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: {يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلُوا صالِحًا، إنِّي بما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون:51] وقالَ: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ}[البقرة:172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟) صحيح مسلم

عن أنسٍ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال:(إن اللهَ لَيَرضَى عن العبدِ أنْ يأكلَ الأكْلةَ فيحمَدَه عليها، أو يشرَبَ الشَّربةَ فيحمَدَه عليها) رواه مسلم

واختلف بالمراد بالطيب الذي أباحه الله:

فقيل: الطيبات هي المحللات، وقيل: المراد بالطيبات ما تستطبه العرب، وقيل: الطيبات التي أحلها الله ما كان نافعاً لآكلِهِ في دينه، وهذا اختيار ابن تيمية

كل ما أحل الله طيب، وكل ما حرم الله خبيث، إن لم يكن خبيث في ذاته، فإن كل ما يوصل الى الخبيث فهو خبيث، وأن كان أصله طيب.

قال ﷺ (ما أَحَلَّ اللهُ في كتابِه فهوَ حَلالٌ، وما حَرَّمَ فهوَ حرامٌ، وما سَكَتَ عنهُ فهوَ عَفْوٌ) السلسة الصحيحة

(وَاشْكُرُوا لِلَّهِ) أي: قوموا بشكره على نعمه عليكم، بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم. اللهيميد

وحقيقة شكر الله، ألا يقع في القلب الا طيب، ولا يتلفظ اللسان الا بطيب، ولا تتحرك الاركان الا لطيب.

(إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) أي: اشكروا لله تعالى إن كنتم فعلاً تعبدونه وتخضعونه له . اللهيميد

قال سعيد مصطفى ذياب: العبادة تنقسم إلى شكر وصبر، والمؤمن يتقلب بينهما، ولا ينفك عن واحد منهما، وليس له حال ثالثة؛ كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». رواه مسلم

وإذا علمت أن الشُّكْرَ هُوَ: ظُهُورُ أَثَرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا، وَعَلَى قَلْبِهِ: شُهُودًا وَمَحَبَّةً، وَعَلَى جَوَارِحِهِ: انْقِيَادًا وَطَاعَةً. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين

(إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) أي: إنْ كنتم تُطيعون الله تعالى حقًّا، وتخضَعون له ممتثلينَ لأوامرِه، ومجتنبين لنواهيه، فكُلوا ممَّا رزَقكم اللهُ تعالى، واشكروه على ما أنعَم به عليكم. موسوعة التفسير

والعبادة: هي التذلل لله بالطاعة، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

عبادة الشكر: هذه العبادة العظيمة تحفظ الموجود وتجلب المفقود، هي الجالبة الحافظة، مفتاح المزيد ولئن شكرتم لأزيدنكم.

فسليمان عندما رأى عرش بلقيس عنده مستقراً (قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) 40النمل

أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسولَ اللَّهِ، وقدْ غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ قالَ: أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا) صحيح بخاري

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) 173

مُناسبة الآية لِمَا قبلها: لَمَّا قيَّد سبحانه وتعالى الإذنَ لعباده بالطيِّب من الرِّزق، افتقَر الأمرُ إلى بيان الخبيث منه ليُجتَنَب، فبيَّن صريحًا ما حرَّم عليهم ممَّا كان المشركون يستحلُّونه ويحرِّمون غيرَه، وأفهَم حِلَّ ما عداه، وأنه كثيرٌ جدًّا؛ ليزدادَ المخاطَب شكرًا. موسوعة التفسير

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) أي: قد حرَّم الله تعالى عليكم-أيُّها المؤمنون-الميتةَ التي ماتت حتْفَ أنفها دون ذكاةٍ شرعيَّة، والدَّم المسفوح، ولحم الخنزير-ويدخُل فيه شحمُه-وما ذُبح على غير اسم الله عزَّ وجلَّ، كالذي يُذبَح للأصنام، ويُسمَّى عليه بغير اسمه سبحانه، مع رفْع الصَّوت بذلك. موسوعة التفسير

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ) أي: ما حرم عليكم ربكم إلا الخبائث كالميتة وهي: التي تموت حتف أنفها من غير تذكية وسواء كانت منخنقة أو موقوذة (المقتولة ضربا) أو متردية أو نطيحة. اللهيميد

قال سعيد مصطفى: لتعلمَ مدى رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِهِ، فإن المحرماتِ محصورةٌ محددةٌ، قليلةٌ، والمباحات كثيرةٌ لا حدَ لها، ولا حصرَ .

⇦والميتة إنما حرمت لاحتقان الرطوبات والفضلات والدم الخبيث فيها، والذكاة لما كانت تزيل ذلك الدم والفضلات كانت سبب الحل.

📝يستثنى من ذلك: ميتة البحر لقوله تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ)، قال ابن عباس: صيد البحر ما أخذ حي، وطعامه ما أخذ ميتاً. اللهيميد

عن أبي هريرة أن رسولُ ﷺ قال في البحر (هو الطَّهورُ ماؤهُ ، الحلُّ ميتتُه) صحيح الترميذي

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أحلَّت لَكُم ميتتانِ ودَمانِ، فأمَّا الميتَتانِ، فالحوتُ والجرادُ، وأمَّا الدَّمانِ، فالكبِدُ والطِّحالُ) صحيح ابن ماجه

(وَالدَّمَ) أي: وحرم عليكم الدم، والمراد هنا الدم المسفوح كما قال تعالى (قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ...)145

📝هو الدم الذي يخرج من البهيمة عند الذبح، الدم الذي يصب من البهيمة من حلقها عند الذبح يقال له: مسفوح، وهو نجس ومحرم. ابن باز رحمه الله

(وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ) أي: وحرم عليكم لحم الخنزير.

✉ قال القرطبي: لا خلاف في تحريم خنزير البر.

📋وقد ذكر الله تحريمه في عدة آيات:

فقال تعالى كما في سورة المائدة (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...)3المائدة

وهو حيوان سمج والعين تكرهه، له نابان كنابي الفيل، ورأسه كرأس الجاموس، وهو حرام لحمه وشحمه وجميع أجزائه

📋الحكمة من تحريمه:

كثرة الديدان في لحم الخنزير، ولأن أشهى غذائه القاذورات والنجاسات، وأكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القاتلة، ويقال: إن له تأثيراً سيئاً في العفة والغيرة. اللهيميد

(وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) الإهلال المراد به رفع الصوت، والمعنى: وما ذبح وذكر عليه اسم غير الله تبارك وتعالى، وكانوا يذكرون اسم آلهتهم على الذبيحة ويرفعون أصواتهم بذلك. اللهيميد

(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) أي: مَن ألجأتْه الضرورةُ إلى الأكْل من تلك المحرَّمات وهو غير مبتغٍ لتناولِها مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه، وغير متجاوزٍ قدْرَ الضَّرورة، فلا يتناول منها إلَّا بمقدارِ ما يسدُّ جوعه، فمَن كانت حاله كذلك فليس عليه إثمٌ مِن تناولِ تلك المحرَّمات. موسوعة التفسير

(فَمَنِ اضْطُرَّ) أي: ألجأته الضرورة إلى الأكل من المحرمات.

📝 وشرعاً: إنها بلوغه حداً إن لم يتناول الممنوع هلك إذا قارب وهذا يبيح تناول الحرام. اللهيميد

لكن بشرط: (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) لا يكون باغياً ولا عاديا.

⇦المراد بالباغي: الذي يبغي المحرم من الطعام مع قدرته على الحلال، والعادي الذي يتعدى القدر الذي يحتاج إليه. اللهيميد

✉ في هذه الآية جواز الأكل من هذه المحرمات عند الضرورة، يجب على المضطر الأكل من الميتة ونحوها

لقوله تعالى (وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ولقوله تعالى (وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) وترك الأكل مع إمكانه في هذه الحال؛ إلقاء بيده إلى التهلكة، ولأنه قادر على إحياء نفسه بما أحل الله له فلزمه، كما لو كان معه طعام حلال .

وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال: ويجب على المضطر أن يأكل ويشرب ما يقيم به نفسه، فمن اضطر إلى الميتة أو الماء النجس فلم يشرب ولم يأكل حتى مات دخل النار.

⇦يباح له أكل ما يسد به الرمق ويأمن معه الموت بالإجماع، ويحرم ما زاد على الشبع بالإجماع. اللهيميد

✉ثم ذكَر تعالى تعليلَ الحُكمِ بانتفاءِ الإثم، فقال:

(فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) أي: فلا عقوبة عليه في الأكل. اللهيميد

⇦وفي هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة (الضرورات تبيح المحظورات) فكل محظور، اضطر إليه الإنسان، فقد أباحه له، الرحمن الرحيم، فله الحمد والشكر، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي: إنَّ الله سبحانه وتعالى يَغفِر ذنوبَ عباده، فيسترها ويتجاوز عن المؤاخذةِ بها، ومن ذلك أنَّه رفَع بمغفرته الإثمَ عنهم في تناوُل ما حرَّمه؛ تجاوزًا منه سبحانه، وهو الرَّحيم بعباده، ومن رحمته أنْ شرَع لهم ذلك توسعةً منه. موسوعة التفسير

قال السعدي: ولما كان الحل مشروطاً بهذين الشرطين، وكان الإنسان في هذه الحالة، ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها، أخبر تعالى أنه غفور، فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال، خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه المشقة.

⇦قال: (الغَفُورٌ) هو الذي يستر العيوب ويستر الذنوب، مهما بلغ الذنب، مهما بلغ الذنب من الكبر، وأراد الرجوع إلى الرب، فإن باب المغفرة مفتوح في كل وقت، ما لم تغرغر النفس، (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ... }18النساء

(رَحِيمٌ) ومن رحمته أنه أباح المحرمات حال الضرورة، ومن رحمته يغفر الزلات والخطيئات